



مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Planning and Studies

كيف يمكن لإيران والسعودية أن تجلبا السلام للشرق الأوسط؟

ولي نصر - ماريا فانتابي



ترجمة وتحرير مركز البيان للدراسات والتخطيط

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركز مستقلٌّ، غيرُ ربحيٍّ، مقرّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليل مستقلٍّ، وإيجاد حلول عمليّة جليّة لقضايا معقدة تمّم الحقلين السياسي والأكاديمي.

ملاحظة:

الآراء الواردة في المقال لا تعبر بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنما تعبر عن رأي كاتبها.

حقوق النشر محفوظة © 2021

www.bayancenter.org

info@bayancenter.org

Since 2014

كيف يمكن لإيران والسعودية أن تجلبا السلام للشرق الأوسط؟

ولي نصر* - ماريا فانتابي**

لا يمكن تجاهل التغييرات في سياسات واشنطن: فالشرق الأوسط لم يعد يشكل أولوية قصوى بالنسبة للولايات المتحدة. ويتجلى انسحاب الولايات المتحدة من المنطقة في خروج القوات من أفغانستان وتخفيض الالتزامات العسكرية للولايات المتحدة تجاه العراق والأردن والكويت والمملكة العربية السعودية، إلى جانب زيادة التركيز على الصين وروسيا. وهناك أسباب وجيهة لهذا التحول في الاستراتيجية، ولاسيما في ضوء التاريخ الحديث لتدخلات الولايات المتحدة في المنطقة المخيب للأمل، ولكن هذا التغيير يجلب معه مخاطر. على سبيل المثال انسحاب قوات الولايات المتحدة من العراق في عام 2011، مهد الطريق لصعود تنظيم داعش، وأيضاً توسيع بصمة إيران الإقليمية. ولتجنب وقوع أضرار مماثلة هذه، يتعين على واشنطن أن تجد وسيلة للربط بين التخفيضات في الالتزامات العسكرية والمكاسب التي ستتحقق في الاستقرار الإقليمي. إن واحدة من أفضل الفرص لتحقيق هذه المكاسب تكمن في المحادثات الناشئة بين الطرفين الأكثر خصومة في المنطقة: إيران والمملكة العربية السعودية.

وحتى بتراجع الولايات المتحدة عن التزاماتها، دخل الصراع في الشرق الأوسط مرحلة جديدة خطيرة. وتتشابك إيران وإسرائيل في حرب بالخفية بهجمات إلكترونية، واغتيالات مستهدفة، وتخريب. وإن روسيا وتركيا تدعمان قوات مسلحة غير رسمية في ليبيا وسوريا بالوكالة (فضلاً عن القوقاز). وتجد تكنولوجيا الصواريخ الجديدة طريقها إلى أيدي أطراف فعالة غير تابعة لدولة، بما في ذلك حماس، والجماعات شبه العسكرية العراقية، والحوثيين في اليمن. وحققت تركيا وإيران قفزات مفاجئة في قدرات الطائرات بدون طيار الحربية، وغيرت التوازن العسكري للقوة تغييراً جذرياً. نجحت الطائرات التركية بدون طيار في الدفاع عن إدلب في سوريا وألحقت ضرراً كبيراً بالمليشيا العربية والروسية المدعومة من خليفة حفتر في ليبيا، في حين استخدمت إيران طائرات بدون طيار متطورة لتجاوز أنظمة الدفاع الجوي المتقدمة وضربت أهدافاً بالغة الأهمية في المملكة

* خبير إيراني أمريكي في الشرق الأوسط والعالم الإسلامي وكاتب وأستاذ السياسة الدولية في مدرسة فليتشر للحقوق والديبلوماسية في جامعة تافتس.

**المستشار الخاص لأمر الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في مركز الحوار الإنساني.

العربية السعودية. ومع انتشار هذه التكنولوجيا في أنحاء المنطقة، ستصبح الصراعات خطرة وصعبة التخمين. وكلما زادت احتمالات خروج الصراعات عن نطاق السيطرة، زادت احتمالات عودة الولايات المتحدة إلى المنطقة للتعامل مع العواقب.

وكان النزاع الأكثر خطورة وزعزعة للاستقرار في المنطقة (التنافس بين إيران والمملكة العربية السعودية) سبباً في الانتقال من بلاد الشام إلى منطقة الخليج العربي، واستقطاب المنطقة على طول خطوط الصدع الشيعية-السنية، والعربية-الفارسية. لقد تصاعدت المنافسة الطويلة الأمد أولاً مع بداية حرب العراق في عام 2003 ثم مع بداية الحروب الأهلية في سوريا واليمن والاتفاقية النووية الإيرانية في عام 2015. وصلت التوترات إلى نقطة خطيرة بشكل خاص في عام 2019 عندما شنت إيران هجوماً عسكرياً متطوراً على المنشآت النفطية السعودية. واليوم، لا يزال الطرفان يتناطحان في اليمن ويتصدران موقعاً في العراق ولبنان، ويمكن أن تكون أفغانستان ساحة جديدة للمنافسة مع انسحاب الولايات المتحدة وقيام الطالبان بأخذ الأراضي.

ولكن على الرغم من كل هذا، اجتمع كبار المسؤولين العسكريين والاستخباراتيين السعوديين والإيرانيين في نيسان في بغداد في أعقاب فترة هجمات الطائرات بدون طيار والصواريخ التي أطلقت من اليمن والعراق. وقد استغل رئيس الوزراء العراقي مصطفى الكاظمي علاقاته مع كل من ولي العهد السعودي محمد بن سلمان وطهران للجمع بين الجانبين. قبل فترة طويلة، كان بن سلمان يلقي نبرة تصالحية نادرة، حيث قال إنه يريد «علاقات جيدة» مع إيران، وأعرب عن انفتاحه على الحوار مع الحوثيين المدعومين من إيران في اليمن. وقد أبدى الناطق باسم الحكومة الإيرانية تفاعلاً مماثلاً بشأن حدوث تقدم كبير، وتتوقع الصحافة الإيرانية استئنافاً وشيكاً للعلاقات الدبلوماسية. ومنذ نيسان، عقدت اجتماعات إضافية تحت إشراف مسؤولين أمنيين رفيعي المستوى من الجانبين، بما في ذلك قائد قوة القدس الإيرانية؛ بعد التوقف لإجراء الانتخابات الرئاسية الإيرانية، يجب أن تبدأ المحادثات مرة أخرى عندما يتولى إبراهيم رئيسي منصبه هذا الشهر.

إن منافسي الخليج العربي يجب ان يسلكوا مساراً لإصلاح الصدع، ولكن تقاربهم الناشئ يوفر أفضل فرصة منذ سنوات للعودة إلى الاستقرار الإقليمي في الشرق الأوسط. وتستفيد الولايات المتحدة استفادة هائلة من الدبلوماسية المستمرة التي تحرك الجانبين في الاتجاه الصحيح. ورغم أن واشنطن ليست على الطاولة، فإنها قادرة على تقديم الدعم الحاسم للعملية من خلال تزويد المملكة العربية السعودية بالمزيج الصحيح من التشجيع والطمأنينة، بهدف رئيس يتمثل في ضمان ألا يؤدي انخفاض وجود الولايات المتحدة في الشرق الأوسط إلى كارثة.

قضايا الالتزام

هناك سبب يدعو إلى التساؤل عما إذا كانت المملكة العربية السعودية ملتزمة التزاماً حقيقياً بالمحادثات مع إيران. ويمكن للرياض أن تستخدم الحوار لإرضاء واشنطن بتقديم نفسها كلاعب إقليمي بناءً أو لكسب الوقت لدعم موقفها والخروج بطرق لمواجهة الطائرات الإيرانية بدون طيار. ولكن الرياض لديها سبب وجيه لدفن الأحقاد مع طهران. وبأسرع ما يمكن، يريد القادة السعوديون إنهاء حربهم المكلفة في اليمن، وهذا يتطلب من طهران الضغط على الحوثيين لوقف هجومهم والدخول في مفاوضات جادة. لم تعد المملكة العربية السعودية قادرة على الاعتماد على دعم الولايات المتحدة الثابت على المدى الطويل، وعلاقتها بالإمارات العربية المتحدة تخلفت بسبب النزاعات تخص إنتاج النفط. ومع اشتداد المنافسة بين إيران وإسرائيل وتركيا، فإن وقف التصعيد مع إيران من شأنه أن يسمح للمملكة العربية السعودية بتوسيع نفوذها من خلال لعب دور متوازن في ساحات العراق ولبنان وسوريا المتنازع عليها.

تلعب الرياض بأوراق ضعيفة وهي مدركة لهذا الأمر. والبلاد عالققة في ورطة في اليمن ومعرضة لحرب طائرات بدون طيار مع إيران. فقد انسحبت من لبنان، وخسرت في الحرب الأهلية السورية، وظلت بموقف حرج في العراق منذ عام 2003. وعلى النقيض من ذلك، فإن النفوذ الإيراني مترسخ بقوة في بلاد الشام. وبفضل مغامرة الرياض السيئة في عام 2017 لعزل قطر، وسعت طهران نفوذها أيضاً على الشواطئ الجنوبية للخليج الفارسي. ويخشى المسؤولون السعوديون أن التوصل إلى اتفاقية نووية مع الولايات المتحدة لن يؤدي إلا إلى تعزيز ثقة إيران بنفسها، وإنهاء عزلة طهران الدولية والسماح لاقتصادها وتجارتها الإقليمية بالتوسع.

ولكن المحادثات الناجحة تصب في مصلحة إيران أيضاً. رغم تظاهر طهران بالقوة إلا أنها تخشى التكاليف الكثيرة واللامتناهية لنزاعها الإقليمي مع الرياض، وإن رغبة الحكومة الإيرانية في تقليص الوجود الأميركي من الممكن أن تحبطها التوترات الإقليمية المستمرة. وتود إيران أيضاً أن تنهي المملكة العربية السعودية دعمها للقوى الانفصالية العرقية في إيران والمنافذ الإعلامية في المنفى التي تشجع على تغيير النظام. وبعد الإعلان عن الصفقة النووية في عام 2015، قللت إيران من تقدير قدرة خصومها على تقويض الاتفاق. وهي ترى هذه المرة أن المشاركة الإقليمية ضرورية لإحداث اتفاق مع واشنطن وإدامته. وبينما تنظر إيران في المنافسة مع إسرائيل وتركيا، فإنها تريد أن تمنع المملكة العربية السعودية من تقديم الدعم الكامل لمثل هؤلاء المنافسين.

وقد ركزت المحادثات حتى الآن على القضايا الأمنية الضيقة، وفي المقام الأول في اليمن، حيث المسائل الأكثر إلحاحاً وخلافاً فيما يتصل بمحافظة مأرب الغنية بالنفط. (وكما قال لنا أحد المسؤولين السعوديين: «الأمر يتعلق بمأرب.») وتريد إيران من الرياض أن تنهي حصارها الاقتصادي على المناطق التي يسيطر عليها الحوثيين وأن توقف الغارات الجوية على مواقع الحوثيين، بما في ذلك حول مأرب. والواقع أن مثل هذا الاتفاق من شأنه أن يضمن انتصار الحوثيين في مأرب الذي من شأنه أن يسمح لطهران بإملاء التسوية النهائية في اليمن في حين تستمر في تهديد المملكة العربية السعودية بالهجمات بالطائرات بدون طيار وبالصواريخ. وتحاول المملكة العربية السعودية من جانبها شراء الوقت بينما تعزز أنظمة دفاعها الجوي وتدفع إلى إنهاء هجمات الطائرات بدون طيار التي شنتها المليشيات العراقية المدعومة من إيران (والتي تمكنت ثلاثة منها مؤخراً من ضرب قصر ملكي في الرياض).

وفي نهاية المطاف، تريد إيران والمملكة العربية السعودية أموراً مختلفة خارج المحادثات. وتأمل طهران أن تؤدي إلى تطبيع العلاقات الإيرانية السعودية، في حين تريد الرياض معالجة مخاوفها الأمنية، وعلى وجه التحديد، التوصل إلى قرار في اليمن وإنهاء الهجمات عبر الحدود؛ وبالتالي فإن المفاوضين السعوديين يصمدون على التطبيع إلى أن يحصلوا على تنازلات حقيقية، في حين يقاوم المفاوضون الإيرانيون اتفاقيات محدودة بشأن العراق واليمن؛ لأن مثل هذه الصفقات من شأنها أن تعالج المخاوف السعودية من دون تغيير العلاقة الشاملة. ومما يزيد من تعقيد الديناميكية حقيقة مفادها أنه على الرغم من أن إيران تعرف ما تريد، فإن المسؤولين السعوديين يعوقهم غموض بشأن اتجاه السياسة الأميركية، بشأن تفاصيل صفقة إيران، ووجود القوات الأميركية في العراق، وسياسة الولايات المتحدة في المنطقة. وهذا غموض يقوض الثقة التي يحتاج إليها المسؤولون السعوديون في التعامل الجاد.

الضمانات الصحيحة

وبوسع واشنطن أن تساعد في تعزيز الثقة السعودية؛ وبالتالي تشجيع التقدم الحقيقي في المحادثات، من خلال تزويد الرياض بضمان واضح بأنها سوف تدافع عن المملكة في مواجهة هجوم إيراني مباشر. ويمكن للولايات المتحدة أيضاً أن تساعد من خلال التأكيد لإيران أنه على النقيض من انسحاب الولايات المتحدة غير المشروط من أفغانستان، فإن تخفيض القوات سيعتمد على اتفاق أمني مستدام بين إيران وجيرانها العرب، وكذلك على إنهاء الهجمات على الممتلكات

والأراضي السعودية. من المفيد أيضاً أن يكون هناك التزام صريح من الولايات المتحدة بمحاولة منع سقوط مأرب بيد الحوثيين -وهي نتيجة من شأنها فقط إطالة أمد الحرب في اليمن ودفع جميع الأطراف إلى التصعيد بطرق خطيرة- وممارسة ضغوط دولية على إيران إذا واصل الحوثيون مسيرتهم على مأرب.

وفي المقام الأول، تستطيع الولايات المتحدة أن تساعد من خلال إقناع كل من إيران والمملكة العربية السعودية بأن المحادثات الناجحة تخدم المصالح الأمنية للطرفين على أفضل وجه. ويتعين على كل جانب أن ينظر إلى التقدم باعتباره أمراً بالغ الأهمية فيما يتصل بما يريده زعماءه: الضمانات الأمنية الأميركية في حالة الرياض، وطابع عسكري أميركي أصغر حجماً في المنطقة في حالة طهران. إن الهدفين ليسا متعارضين: فالولايات المتحدة لديها وجود عسكري واسع النطاق يأتي من دون التزامات أمنية محددة تجاه المملكة العربية السعودية، وهو الترتيب الذي أصبحت نواقصه واضحة تماماً عندما هاجمت إيران منشآت النفط السعودية من دون استجابة الولايات المتحدة. وبدلاً من ذلك، على واشنطن أن تسعى إلى تقليص وجودها العسكري، ولكن بالتزامات محددة تجاه الأمن السعودي. بمرور الوقت، هذه الجهود بالتحديد يمكن أن تحفز أنواع الخطوات التي من شأنها أن تولد الزخم، وتبني الثقة، وتخلق حقائق جديدة على أرض الواقع - والتي تشكل بدورها قوالب بناء بنية أمنية إقليمية قادرة على الصمود بعد انسحاب الولايات المتحدة من الشرق الأوسط.

الرابط:

<https://www.foreignaffairs.com/articles/iran/2021-08-03/how-iran-and-saudi-arabia-can-together-bring-peace-middle-east>